

المقام

ربيع ثاني سنة ١٣٢٢

المقيم المقعد

للشيخ الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي البغدادي عليه الرحمة هو كتاب جليل نادر الوجود توجد منه نسخة عند بعض طلبة العلم في بغداد. أوله لما كانت العربية تنقسم قسمين أحدهما الظاهر الذي لا يخفى على سامعيه ولا يحتمل غير ظاهره. والثاني المشتمل على الكنايات والإشارات والتجوز. وكان هذا القسم هو المستحلى عند العرب نزل القرآن بالقسمين ليتحقق عجزهم عن الإتيان بمثله. فكأنه قول عارضوه بأي القسمين شتم ولو نزل كله واضحاً لقالوا هلا نزل بالقسم المستحلى عندنا. ومتى وقع في الكلام إشارة أو كناية أو استعارة أو تعريض أو تشبيه كان أحلى وأحسن.

قال امرؤ القيس:

وما ذرفت عينك إلا لتضربي ... بسهميك في أعشار قلب مقتل

فشبه النظر بالسهم فعلا هذا عند السامع. وقال أيضاً:

فقلت له لما تغطي بصلبه ... وأردف إعجازاً وناء بكلكل

فجعل الليل صلباً وصدراً على جهة التشبيه. واستشهد أيضاً بشعر آخرين من شعراء الجاهلية وأطال في الكلام وأطرب. ثم عقد فصلاً في مطالب شتى. منها فصل في بيان عادة العرب في تكرير الكلام واستشهد على ذلك بمنشور ومنظوم من كلام فصانحهم وخطبانهم.

ثم قال فصل وقد تأتي العرب بكلمة إلى جانب كلمة كأنها معها وهي غير متصلة بها وفي القرآن (يريد أن يخرجكم من أرضكم) هذا قول الملاء فقال فرعون (فماذا تأمرون) وأورد شواهد أخر من القرآن ومن كلام الفصحاء وأطرب في الكلام. ثم قال فصل وقد تجمع العرب شيئين في كلام فترد كل واحد منهما إلى ما يليق به وفي القرآن (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) فيقول الرسول (إلا أن نصر اللع قريب). وهو فصل طويل.

ثم قال فصل وقد يحتاج بعض الكلام إلى بيان فيبينونه متصلاً بالكلام ومنفصلاً وجاء القرآن على ذلك فمن اتصل (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات). وأما المنفصل الخ وذكر له عدة شواهد من القرآن وغيره.

ثم قال فصل وقد تذكر العرب جواب الكلام مقارناً له وقد تذكره بعيداً عنه وعلى هذا ورد القرآن فإن المقارن من الجواب كقوله تعالى (ويسألونك ماذا يفتقون قل العفو) وأما البعيد فتارة يكون في السورة كقوله تعالى (ما لهذا الرسول الآية جوابه بعده باثني عشرة آية وهو قوله تعالى (وما أرسلنا قبلك من المرسلين) الآية.

ثم قال فصل في ذكر أقسام الخطاب في القرآن. الخطاب في القرآن على خمسة عشر وجهاً خطاب عام الله الذي خلقكم. وخطاب خاص (أكفرتم). وخطاب الجنس (يا أيها الناس). وخطاب النوع (يا بني آدم). وخطاب العين (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة). وخطاب المدح (يا أيها الذين آمنوا). وخطاب الذم (يا أيها الذين كفروا).

وخطاب الكرامة (يا أيها النبي) وخطاب الإهانة (فإنك رجيم). وخطاب الجمع بلفظ الواحد (يا أيها الإنسان ما غرك بربك). وخطاب الواحد بلفظ الجمع (وان عاقبتهم فعاقبوا). وخطاب الواح دبلفظ الاثنين (ألقيا في جهنم). وخطاب الاثنين بلفظ الواحد (فمن ربكما يا موسى). وخطاب العين والمراد به الغير (فإن كنت في شك). وخطاب التلون وهو على ثلاثة أوجه أحدها أن يخاطب ثم يخبر (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم. وما أتيتهم من زكوة يريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون). والثاني أن يخبر ثم يخاطب (فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم. وسقامهم رحيم شراً طهوراً إن هذا كان لكم جزاء) والثالث أن يخاطب عيناً ثم يصرف الخطاب إلى الغير. (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله) على قراءة.

ثم قال فصل في ذكر أمثال القرآن وذكر اثنين وأربعين مثلاً منها وبين ما اشتملت عليه من البلاغة والفصاحة والحكم بما لا يزيد عليه.

ثم قال فصل في الحروف الزوائد والنواقص وذكر هنا مسائل لغوية مفيدة تنس إليها حاجة اللغوي وطلاب علم العربية.

ثم قال فصل في المقدم والمؤخر وذكر ما يجب تقديمه في الكلام وما يجب تأخيره في النظم والنظر وهو بحث لم تطفو به يد غيره من المحققين.

ثم قال فصل واعلم أن لغة العرب واسعة ولهم التصرف الكثير فتراهم يتصرفون في اللفظة الواحدة بالحركات فيجعلون لكل حركة معنى كالحمل والحمل والروح والروح وتارة بالأعجام كالصح والنضح والقبضة والقبضة والمضمضة والمضمضة وتارة يقلبون حرفاً من كلمة لا يغير عندهم معناها كقولهم صاعقة وصاعقة وجذب وجذب وما أيه وأبطه وربض وربض وانضب وانضب في القوس وانضب. ولعمري ورعلمي.

واضححل وامضحل. وعميق ومعيق. وسبب وبسس. وليكت الشيء وبلكته. وأسير مكبل ومكلب. وسحاب مكفهر ومكرهف. وناقاة ضمزر وضمزرز إذا كانت مسنة. وطريق طامس وطاسم. وقفا الأثر وقاف الأثر. وقاع البعير الناقاة وقعاها. وقوس عطل وأعط لا وتر عليها. وجارية قين وقيت قليلة الرزأ (كذا). وشرخ الشباب وشخره أوله. ولحم ختر وخزن. وعاث يعث وعثي يعثي إذا أفسد. وتنج عن لقم الطريق ولق الطريق. وبطيخ وطبيخ. وماء سلسال ولسال ولسلسل ومسلسل ومللس إذا كان صافياً. ودقم فاه بالحجر ودقمه. وفثأت القدر وثقأها إذا سكن غليانها. وكبكت الشيء وبكبكته إذا طرحت بعضه على بعض.

ثم قال فصل ومن سعة اللغة وحسن تصرفها أن العرب تضع للشيء الواحد أسماء من غير تغير يعتريه فيقولون السيف والمهند والصارم ويغيرون الاسم بغير يعترى فيقولون بمن نزل في الركي فملاً الدلو مآتح للمستسقي من أعلاها مآتح فالتاء المعجمة من فوق لمن فوق والياء المعجمة من تحت لمن تحت وتضع العرب للشيء الواحد أسماء تختلف باختلاف محاله فيقولون لمن انحسر الشعر عن جانبي جبهته أنزع فإذا زد قليلاً قالوا أجلح فإذا بلغ الانحسار نصف رأسه قالوا له أجلى وأجله فإذا زاد قالوا أصلع فإذا ذهب الشعر كله قالوا أحص والصلع عندهم ذهاب الشعر والقرع ذهاب البشرة ويقولون شفة الرجل ويسمونها من ذوات الخف المشفر. ومن ذوات الظلف المقمة ومن ذوات الحافر الحفلة ومن السباع الخطم. ومن ذوات الجناح غير الصائد المنقار ومن الصائد النسر ومن الخنزير الفنطيسة.

ويقولون صدر الإنسان ويسمونه من البعير الكركرة ومن الأسد الزور ومن الشاة القص ومن الطائر الجزجؤ ومن الجرادة الجوشن وللمرأة الندي وللرجل تندوة وهو من ذوات الخف الخلف ومن ذوات الظلف الضرع ومن ذوات الحافر والسباع الطي

وللإنسان الظفر ومن ذوات الخف النسم ومن ذوات الظلف الظلف ومن ذوات الحافر الحافر ومن السباع والصادد من الطير المخلب ومن الطائر غير الصائد والكلاب ونحوها البرثن ويجوز البرثن في السباع كلها والمعدة للإنسان بمنزلة الكرش للدابة والحوصلة للطائر.

ثم قال فصل المراهق من العلمان بمنزلة المعصر من الجوارى والكاعب منهن بمنزلة الحزور منهم والكهل من الرجال بمنزلة النصف من النساء. والقارح من الخيل بمنزلة البازل من الإبل. والعجل من البقر والشادن من الظباء كالناهض من الفراخ. والبكر من الإبل بمنزلة الفتى من النساء. والقلوص بمنزلة الجارية. والجمل بمنزلة الرجل. والناقة بمنزلة المرأة والبعير بمنزلة الإنسان. والغرز للجمل كالركاب للفرس. والغدة للبعير كالطاعون للإنسان. والهالة للقمر كالدارة للشمس. والبصرة في القلب كالصبر في العين.

ثم قال فصل وتفرق العرب في الشهوات فيقولون جائع إلى الخبز قرم إلى اللحم عطشان إلى الماء عيمان إلى اللبن قرد إلى التمر خصم إلى الفاكهة شبق إلى النكاح ويفرقون في أسماء الأولاد ليقولون لولد كل سبع جرو ولولد كل ذي ريش فرخ ولولد كل وحشية طفل ولولد الفرس مهر وفلو ولولد الحمار جحش وعلو ولولد البقرة عجل ولولد الأسد شبل ولولد الظبية خشف ولولد الفيل دغفل ولولد الناقة حوار ولولد الثعلب الجرس ولولد الضب حمل ولولد الأرنب خرنق ولولد النعام رال ولولد الدب ديسم ولولد الخنزير خنوس ولولد اليربوع والفأرة درص ولولد الحية حربش ويقولون البيض للطائر والمكن للضباب والمازن للنمل والسر للجراد والصواب للقميل ويفرقون في المنازل فيقولون بيت من مدر وبجلد من وبر وخباء من صوف وفسطاط من شعر وخيمة من غزل وقشع من جلود. ويفرقون في الأوطان

فيقولون وطن الإنسان وعطن البعير وعرين الأسد ووجار الأسد والضيع وكناس
 الوحش وعش الطائر وقرية النمل وكور الزناير وناقاء اليربوع ويقولون لما يصنعه
 الطائر على الشجر وكرفان كان على جبل أو جدار فهو وكن فإذا كان في كن فهو
 عش فإن كان على وجه الأرض فهوأ فحوص والأوحى للنعام خاصة ويقولون عدا
 الإنسان وأحضر الفرس وأرقسل البعير وعسل الذئب ومزغ الظبي وخف النعام
 ويقولون طفر الإنسان وصبر الفرس ووثب البعير ونفر العصفور وطمر اليرغوث
 ويفرقون في الضرب فيقولون للضرب بالراح على مقدم الرأس صقع وعلى القفا
 صفع وعلى الوجه صك وعلى الخد يسط الكف لطم وبقبضها لكم وبكتا اليدين
 لدم وعلى الذقن والحك وهر وعلى الجنب وخرز وعلى الصدر والبطن بالكف وكز
 وبالركبة زين وبالرجل ركل وعلى كل ضارب بمؤخره من الحشرات كالعقارب يسلم
 وكل ضارب منها بقمه يلدغ ويفرقون في الجماعات فيقولون كوكبة من الفرسان
 وكبكية من الرجال وجوقة من الأطباء وعرجلة من السباع وعصابة من الخيل وصرمة
 من الإبل وقطيع من الغنم وسرب من الأطباء وعرجلة من السباع وعصابة من الطير
 ورجل من الجراد وخرشم من النحل ويفرقون في الامتلاء فيقولون بحر طام وفهر طافح
 وعين ثرة وإناء مفعم ومجلس غاص بأهله ويفرقون في اسم الشيء اللين فيقولون ثوب
 لين ورمح لدن ولحم رخص وريح رخاء وفراش وثير وأرض رشة ويفرقون في تغير
 الطعام وغيره فيقولون أروح اللحم وأسن الماء وختر الطعام وسخ السمن وزنخ
 الدهن وقتم الجوز ودخن الشراب وصدأ الحديد وتغل الأديم ويقولون يدي من اللحم
 غمرة ومن الشحم زهمة. ومن البيض زهكة. ومن الحديد سهكة. ومن السمك زنخة.
 ومن الخل حمطة. ومن العسل لزقة. ومن الفاكهة لزجة. ومن الزعفران ردغة. ومن
 العجين ورخة. ومن الطيب عبقة. ومن الدم ضرجة. وسلطة وسلطة. ومن الوحل

لثقة. ومن الماء بللة. ومن الحمأة زفطة. ومن البرد صردة. ومن الأشتان قضة. ومن المداد وحدة. ومن دهن البزر والنفط غسة ونسمة. ومن البول قتمة. ومن العذرة طفسة. ومن الوسخ وزنة. ومن العمل محلة.

ويفرقون في الوسخ فإذا كان في العين قالوا أرمص فإذا أجف فهو عمش. فإذا كان في الأسنان فهو حفر. فإذا كان في الأذن فهو أف. فإذا كان في الأظافر فهو تف. فإذا كان في الرأس فهو حزار. وهو في باقي البدن درن.

ويفرقون في الكشف عن الشيء من البدن فيقولون حسر عن رأسه وسفر عن وجهه وافتر عن نابيه. وكشر عن أسنانه. وأبدى عن ذراعيه. وكشف عن ساقه وهتلك عن عورته.

ويفرقون في الرياح فإذا وقعت الريح بين ريحين فهي نكباء. فإذا وقعت بين الجنوب والصبأ فهي الجريباء. فإذا أهبّت من جهات مختلفة فهي المناوحة. فإذا جاءت بنفس ضيف فهي النسيم. فإذا كانت شديدة فهي العاصف. فإذا قويت حتى قلعت الحيام فهي المهجوم. فإذا حركت الأشجار تحريكاً شديداً وقلعتها فهي الرزع. فإذا جاءت بالهباء فهي الحاصب. فإذا هبت من الأرض كالعمود نحو السماء فهي الإعصار. فإذا جاءت بالغبرة فهي الهبوة. وإذا كانت باردة فهي الجرجف والصرصر. فإذا كانت معبردها ندى فهو البليل فإذا كانت حارة فهي السموم. فإذا لم تلقح ولم تحمل مطراً فهي العقيم.

ويفرقون في المطر فأوله رش ثم طش ثم طل ورذاذ ثم نضح ثم نضخ ثم هطل ثم تھتان ثم وابل وجود فإذا أحيأ الأرض بعد موتها فهو الحيا. فإذا جاء عقب الحبل أو عند الحاجة إليه فهو الغيث. فإذا كان صغار القطر فهو القطقط. فإذا دام مع سكون فهي الدينة.

فإذا كان عاماً فهو الجداء. فإذا روى كل شيء فهو الجود. فإذا كان كثير القطر فهو
المطل والتهان. فإذا كان ضخماً القطر شديد الوقع فهو الوابل.
ويقولون هجهجت السبع وشايعت الإبل ونعقت بالغنم وساسأت بالحمار وهامأت
بالإبل إذا دعوتها للعلف وجأجأت بها إذا دعوتها للشرب وأشليت الكلب دعوته
أسدته أرسلته.

ويفرقون في الأصوات فيقولون رغا البعير وجرجر وهدر قبق وأطت الناقة وصهل
الفرس وجمجم وهم الفيل وشهق الحمار وسحل ومسحج البغل وجأرت البقرة وخارت
وثأجت النعجة. وثعت الشاة ويعرت. ونعم الظبي ونزب. ووعوع الذئب. وضج
العلب وصغب الأرنب. وعوى الكلب ونبح ومأت النور وصأت الفأرة. وفحت
الأنعى. ونعق الغراب ونغب. وزق الديك وصعق. وصفغ النسر. وهدر الحمام
وهدل. وغلرد المكاء وقبع الخزير ونقت العقرب. وانقضت الضفادع ونقت أيضاً
وعزفت الجن.

ثم قال فصل وللعرب خاص وعام فالبعض عام والفراك خاص. النظر إلى الأشياء عام
والشم للبرق خاص. الصراخ عام والواعية على الميت خاص الذئب للحيوان البهيم
عام والذئابي للفرس خاص السر عام والسرى لليل خاص المرب عام والأباق للبعيد
خاص الرائحة عام والقتار للشواء خاص.

ثم قال فصل ومن جملة المسلم للعرب أنهم لا يقولون ماندة إلا إذا كان عليها الطعام
والا فهي خوان ولا للعظم عرق إلا ما دام عليه لحم ولا كأس إلا إذا كان فيها شراب
والا فهي زجاجة ولا كوز إلا إذا كانت له عروة والا فهي كوب ولا رضاب إلا إذا
كان في الفم والا فهو بصاق ولا أريكة إلا لسرير عليه قبة فإذا لم يكن عليه قبة فهو
سرير ولا ربطة إلا إذا كانت لفقين والا فهي ملاءة ولا خدر إلا إذا كانت فيه امرأة

والا فهو ستر. ولا للسراقة طعينة إلا إذا كانت في المودج ولا قلم إلا إذا كان مبرياً
والا فهو أنوبة ولا عهن إلا إذا كان مصوغاً والا فهو صوف ولا وقود إلا إذا
اتقدت فيه النار والا فهو حطب ولا ركية إلا إذا كان فيها ماء والا فهي بثر ولا للإبل
راوية إلا ما دام عليها الماء ولا للدلو سجل إلا ما دام فيها ماء ولا ذنوب إلا ما دامت
ملاى ولا نفق إلا إذا كان له منفذ والا فهو سرب ولا للسرير نعش إلا ما دام عليه
الميت ولا للخاتم خاتم إلا إذا كان عليه قص ولا رمح إلا إذا كان عليه زج ولسان
والا فهو قناة ولا لطيمة إلا للإبل التي تحمل الطيب والبز خاصة ولا همولة إلا للتي
تحمل الأمعة خاصة ولا بدنة إلا للتي تجعل للنحر ولا ركب إلا لركبان الإبل ولا
هضبة إلا إذا كانت عيداناً مجموعة وإذا كان نقب في جبل أو حائط فهو وكن ووكر.
ثم قال فصل وتقول العرب في الأمر وهن وفي الثوب وهي وفي الحساب غلت وفي
غيره غلط وفي الطعام بشم وفي الماء ثغر وحلا الشيء في فمي وحلي في عيني الخ.
وهكذا جميع فصول الكتاب كلها غرر بل قلائد درر وهو نحو أربعمائة صفحة
والصفحة على ربع الورق تغمد الله تعالى مؤلفه برحمته ورضوانه.

بغداد

محمود شكري الألومي

بعد البين

لقد طرحتني في البلاد مضاعا ... طوائف جاءت بالخطوب تباعا
فبارحت أرضاً ما ملأت حقائي ... سوى حبها عد البراح متاعا
عتبت عليّ بغداد عتب مودع ... أمضته فيها الحادثات قراعا
أضاعتني الأيام فيها ولو درت ... لعز عليها أن أكون مضاعا
لقد أَرْضَعَنِي كل خسف وإفني ... لأشكرها إن لم تتم رضاعا